

والاسكندرية والمنصورة، وغيرها من المواقع، إضافة إلى توسيع حملة الاعتقالات لتشمل مئات العسكريين وآلاف المدنيين. وجرى تشييع جثمان رب عائلة الـ«٩٩,٩٩٪» في جناز «أجنبي» هزيل معزول «مدرّع»، محصّن ضد «أفراد العائلة»!

بعد هذه الشواهد كلها، هل يجوز «اختصار» القضية بالحزن لوفاة صديق وحليف وفي، ورجل دولة «بارز»؟ أو تصوير الحدث على أنه من فعل مجموعة صغيرة حركتها دوافع الانتقام الشخصي أو الطائفي؟ هل حقاً لن يؤثر اختفاء السادات على استقرار النظام واستمرارية النهج الذي أرساه؟

لقد وصف قادة الغرب غيبة السادات المفاجئة عن مسرح الاحداث بأنها «كارثة» و«حدث مأساوي»، بل اعتبرت «ضربة أعنف من صدمة أميركا بسقوط شاه إيران». كما أن تعهدات حسني مبارك ووعوده بمتابعة مسيرة السادات ونهجه والوفاء بكافة الالتزامات لم تدخل الطمأنينة على الدوائر الغربية.

وكان قد سبق مقتل السادات نبوءة «متشائمة» لرافائيل إيتان، رئيس الاركان الاسرائيلي، بأن «السلام في مصر يعتمد على رجل واحد، إذا سقط انهار كل شيء».

فهل حقاً يصبح «الرجل الواحد» يمثل كل هذه الاهمية والوزن؟

□ إن الاوضاع في «العالم الثالث» عامة، وبحكم الخصوصية المصرية التاريخية، وفي ظروف الحكم الاوتوقراطي المطلق، تسمح بتضخيم دور الفرد «الفرعوني» المستبد، وتحويله الى «شبه» مؤسسة مهيمنة وقائمة بذاتها.

□ الواقع انه تعبير مجازي، المقصود به الفئة الحاكمة، أي الشريحة الاجتماعية صاحبة القرار، ومركز القوة الرئيسي في السلطة. وهي الرأسمالية الطفيلية، أو المافيا المشكلة من السماسرة والوسطاء.

□ زاد من ضيق إطار الدوائر الحاكمة وتمثيلها، الانفصال التدريجي لقطاعات متزايدة ومتسعة من القوى التي كانت تشكل عناصر الائتلاف الرأسمالي الحاكم والتي تعدّ القاعدة الاجتماعية للمؤسسة البورجوازية المهيمنة على مقاليد السلطة، نتيجة تناقضات ثانوية، تتعلق بالأسلوب والمدى، رغم الالتقاء على المحتوى والنهج العام، وبعد أن عجزت عن ترشيد سياسات الفئة المهيمنة. فانضمت الى صفوف المعارضة، مُشكّلة جناحه اليميني الإصلاحى، الذي يتطلّع الى انتزاع الموقع المهيمن، من أجل تأمين المؤسسة الحاكمة والعلاقات الاجتماعية البورجوازية من خطر بديل وطني ديمقراطي راديكالي، يساعد على بلورته وتقويته واستقطابه للجماهير، ضيق أفق «الفئة المهيمنة» وتماديها في الانبساط بغير قيد أو شرط، فاقدة أي هامش من الاستقلالية النسبية، ضاربة عرض الحائط بمصالح الفئات الأخرى من الرأسمالية، مستفزة لمشاعر الجماهير موجبة للصراع الطبقي بأفاهه الخطيرة على مستقبل النظام الرأسمالي بكامله.